علم الكتاب والسنة
وأثره في الأمة

- كلمة عبر الهاتف -

لفضيلة الشيخ

ربيع بن هادي المدخلي

أعدّ هذه المادة
سالم بن محمد الجزائري

[شريط مفرغ]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته...

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّه نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ باللهِ مِنْ شرور أَنْفُسِنَا ومِنْ سَيِّئاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِه اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ.

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾[آل عمران:١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾[النساء:١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾[الأحزاب:٧٠-٧١].

أما بعدُ:

فإنّ أصدق الحديث كلام الله، وخير الهدي هدي محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وشرَّ الأمور محدثاتها، وكلّ محدثة بدعة، وكلّ بدعة ضلالة،

مرحبا بكم أيها الأحبة والأبناء والإخوة في الله تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ.

في هـٰذا اللقاء الطيب المبارك الذي أرجو الله تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ أن يرزقنا فيه العقول الواعية والنفوس المتعطشة إلى العلم النافع والعمل الصالح وإلى التمسك بالكتاب والسنة، وأن يجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

والذي في ذهني أنّ العنوان كان:

الاتّباع وأثره في تزكية النّفوس

والعنوان الجديد:

التمسّك بالكتاب والسّنة.... إلخ

وكلاهما يلتقيان في غاية واحدة، فسواء وضعنا العنوان بهـٰذا اللفظ أو بذاك فالمقصود واحد.

وعلى كلِّ حال فالإتّباع يتطلّب العلم، والتمسك بالكتاب والسنة ومنهج السلف الصالح لا يقوم إلا على العلم، ومن هنا قال الإمام البخاري رحمه الله: بابٌ العلم قبل القول والعمل. واستشهد بقول الله تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ﴾[محمد:١٩]، قال: فبدأ بالعلم.

فالعمل والقول لا يصحّان إلا بالعلم ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾[الإسراء:٣٦]، لا في قول ولا في عمل، فالعلم هو الأساس، والأساس في حياة هٰذه الأمة - من أولها إلى أن تقوم الساعة- ولا قيام لهم ولا سعادة لهم إلا بالعلم الذي هو الوحي والمتمثل في الكتاب والسنة.

وقد عرف أسلافنا الصالحون قيمة العلم ومكانته، فكان الصحابة يتوافدون من أنحاء الجزيرة ليتلقوا العلم من رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ انطلاقا من قول الله تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ (١٢٢)﴾[التوبة:١٢٢].

وكان في عهد الصحابة يرحل الأذكياء والمخلصون من التّابعين من العراق ومن غيره إلى المدينة من أجل مسألة واحدة ومن أجل حديث واحد، لماذا؟ لأنهم عرفوا قيمة العلم الذي تقوم عليه سعادتهم وتقوم عليه عزتهم، ويقوم عليه اجتماعهم، وتتوحد فيه كلمتهم وصفوفهم.

فالعلم عرفه السلف، العلم الذي جاء به محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي من خالفه فقد هوى ﴿وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ الَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ (١٢٠)﴾[البقرة:١٢٠]، العلم الذي يرفع الله به عباده المؤمنين درجات ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾[المجادلة:١١]، العلم الذي يُكسب خشية الله وتقواه ومراقبته ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾[فاطر:٢٨]، والله تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ أمر رسوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فقال: ﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ (١٠٩)﴾[يونس:١٠٩]، والذي أوحاه إليه هو علم الكتاب والسنة نصوص الكتاب والسنة، وهو لا يتبع إلا العلم إلا الوحي، ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا۠ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ (١٠٨) وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ (١٠٩)﴾[يونس:١٠٨-١٠٩]، فهٰذا الذي جاء به محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو الحق، وهو الوحي، وهو العلم. والرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وأمته مأمورون باتباع الحق واتباع العلم،

والحق والعلم هو القرآن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، والسنة المطهرة التي هي الحكمة وهي البيان والشرح والتفصيل وتقييد المطلقات وتخصيص العمومات، فكأن الله وكلك إلى هٰذا الرسول الأمين الكريم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أن يبين للناس هٰذا القرآن الكريم وأن يبين لهم مقاصده ومراميه بالتخصيص والتقييد والتفسير والتيين والتفصيل صلوات الله وسلامه عليه ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾[النحل:٤٤]، فقام الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بهٰذا البيان على أكمل الوجوه، وبلغ القرآن والسنة، وأشهد الأمة في أعظم المواقف في حجة الوداع: ((**ألا هل بلغتُ، اللهم فاشهد**)) خطب فيهم خطبة وبيّن لهم أمورا عظيمة من الحلال والحرام والمناسك وما شاكل ذلك، ثم قال: ((**ألا هل بلغت اللهم فاشهد**))،[1] أشهد أنك قد بلغت عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

وامتن الله تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ على هٰذه الأمة ببعثة محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وما جاء به من العلم والحق الهدى والنور عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ﴿لَقَدْ مَنَّ اللّهُ عَلَى الْمُؤمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ (١٦٤)﴾[آل عمران:١٦٤]، هٰذا من سورة آل عمران، وقال تَعَالىٰ في سورة الجمعة: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (٢)﴾[الجمعة:٠٢]، كانوا في جاهلية جهلاء لا علم ولا كتاب وفي فترة طويلة مرت عليهم ما جاءهم من نذير، فجاهم هٰذا الرسول الكريم وهم أجهل الناس وأضل الناس فهداهم الله به وأنقذهم بدعوته ورسالته من النار، كما قال تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ: ﴿وَاذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا﴾[آل عمران:١٠٣]، كانوا على أسوأ الأحوال من العداوة والبغضاء والأحقاد والتفرق والتشتت والسّلب والنّهب والفوضى، والله تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ أنقدهم بالرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حياتهم الدنيا، فصاروا أرقى الأمم، وتبوَّؤوا أفضل حضارة عرفتها الإنسانية رضوان الله عليهم، فصاروا خير أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون بالله، كما

([1]) **البخاري**: كتاب المغازي، باب حجة الوداع، حديث رقم (٤٤٠٦).

مسلم: كتاب القسامة والمحاربين، باب تغليظ تحريم الدماء والأعراض والأموال، حديث رقم (١٦٧٩).

زكاهم الله تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ بذلك وزكاهم الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: ((**خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم**)). [1]

والشاهد أنّ العمل والاتباع لا يقومان إلا على ساق العلم وقاعدة العلم، والعلم لا يكون إلا علم الكتاب والسنة، العلم ممدوح، والعلم الذي يُنقذ الله به الناس من الشقاء والضنك في هٰذه الحياة الدينا ومن الضلال هو القرآن والسنة، ﴿**فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى (١٢٣) وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى (١٢٤) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا (١٢٥) قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسَى (١٢٦)**﴾[طه:١٢٣-١٢٦].

فهٰذا العلم الذي جاء به محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من كتاب وسنة لا يصح عمل ولا يصح قول، ولا يعتبر شيء منها إلا إذا كان مستمدا من كتاب الله وسنة رسول الله، فالأقوال والأفعال والأحكام وسائر الأعمال -أعمال القلوب وأعمال الجوارح- لا تكون صحيحة مقبولة عند الله تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ، وفي هٰذه الحياة الدنيا وفيما يجري فيما يتعلّق بأعمال العباد فيما بينهم وبين الله وفيما يتعلق بالحقوق فيما بين العباد، لابد أن يكون ذلك منبثقا عن كتاب الله وعن سنة الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فأقوالنا كالصلاة والزّكاة والحج وسائر الأعمال، لا تصح ولا تُقبل إلا إذا قامت على العلم، على مطابقة ما جاء به محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ولابد في كل الأعمال العبادية مع العلم من الإخلاص لله ربّ العالمين، والإخلاص بيّنه القرآن والسنة:

- فأيّ عمل لا يقصد به وجه الله ولو كان منبثقا من الكتاب والسنة لا يقبل.
- ولو كان العلم قائما على الإخلاص والتجرد و لم يطابق الكتاب والسنة فلا يقبل.

﴿**فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا (١١٠)**﴾[الكهف:١١٠].

([1]) **البخاري**: كتاب الشهادات، باب لا يشهد على شهادة جور إذا أشهد، حديث رقم: (٢٦٥١) .

مسلم: كتاب فضائل الصحابة، باب فضل الصحابة رضي الله تعالىٰ عنهم ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم، حديث رقم: (٢٥٣٥).

فالعمل لا يكون صالحا إلا إذا كان مأخوذا من كتاب الله ومن سنة رسول الله عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ، ولا يكون خالصا لله إلا إذا خلا من الشرك بالله تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ، إلا إذا خلا من الشرك بأنواعه الخفي والظاهر والأصغر والأكبر، لابد من مطابقة ما جاء به محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولابد فيه من الإخلاص لله ومن التجرد من كل أنواع الشرك الأكبر والأصغر، ومن ذلكم الرياء، فلو عبد الله ليل نهار بغير علم وبغير إخلاص فيصدق عليه قول الله تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ: ﴿**قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا (١٠٣) الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا (١٠٤)**﴾[الكهف:١٠٣-١٠٤]، ﴿**وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ (٢) عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ (٣) تَصْلَى نَارًا حَامِيَةً (٤) تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ (٥)**﴾[الغاشية:٢-٥]، هٰؤلاء الذين يتعبدون ويسهرون ويتعبون في الصوامع والكنائس وغيرها لما كانت خالية من الإيمان والتوحيد وبعيدة عن الكتاب والسنة كان هٰذا مصيرهم ومصير المرائين والمشركين في أعمالهم بالله تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ وما دلت عليه الآية التي تلوناها عليكم، يظن نفسه أنه يحسن العمل وهو يعمل ويتقرب إلى الله بأسوأ الأعمال؛ لأنها قائمة على الضلال أو على الشرك أو على الجهل أو على الجميع.

فعلى الأمة الإسلامية أن تتعلّم لتصحّ أعمالها وأقوالها، ولهٰذا العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة، على المسلم أن يتعلم العلم الذي يصحّح به عباداته ومعاملاته، وعلى الأمة أن ينبغ فيها علماء يتعلمون فروض الأعيان وفروض الكفايات، وعلى سائر الأمة أن تتعلم؛ كل شخص يتعلم ما يلزمه من فروض الأعيان، لأن الفرض من فروض الأعيان تلتقي فيها الأمة علماؤها وعوامها يلتقون في كثير من الأشياء تتعين هٰذه الأمور على الجميع، وقد ينفرد بعض الأشخاص يختلفون فيما يجب عليهم من فروض الأعيان كل على حسب حاله، فالفقير لا يلزمه ما يلزم التاجر من تعلم ما يصح به بيع التاجر وشراؤه، والذي لا يجد مالا لا يجب عليه أن يتعلم أمور الحج حتى يحصل مبلغ من المال ما يساعده على القيام بشريعة الحج...، وهكذا.

الشاهد أن الأعمال لابد أن تكون قائمة على العلم، والذي يعجز أن يهتدي بنفسه إلى معرفة المسائل وأحكامها فعليه أن يسأل أهل الذكر، ووأهل الذكر يجب أن يقولوا للناس: قال الله وقال رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لأن الذكر هو القرآن، وأن يفتوا الناس بما يتضمنه الكتاب والسنة، فيكون أعمال الناس علماؤهم وجهّالهم قائمة على كتاب الله وعلى سنة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ: عقائدها عباداتها مناهجها معاملاتها سياستها قائمة على العلم -علم الكتاب والسنة-، فإذا كانوا على هٰذا الوجه وعلى هٰذه الحال فهم متّبعون، وإذا كانوا على غير ذلك فهم ليسوا متبعين، وإنما يتبعون أهواءهم وإنما هم مبتدعون، ولا تكون الأمة كلها والحمد لله فإن في هٰذه الأمة من يقوم وينهض بواجب العلم وواجب العمل على نسق ما كان عليه الرسول والصحابة الكرام، ومن هنا قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((**لا تزال طائفة من أمتي، على الحق ظاهرين، لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي وعد الله**))، [1] وأخبر رسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أنّ هٰذه الأمة تفترق إلى ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة، قالوا: من هي؟ قال: ((**من كان على ما أنا عليه وأصحابي**)) [2] ما أنا عليه وأصحابي من العلم الناشئ عن الكتاب والسنة ومن العمل القائم على هٰذا العلم، والفرق الضالة خالفت في هٰذا العلم؛ حرّفت وأوّلت وخالفت في العمل نصوص الكتاب والسنة، وكانوا من هٰذه الفرق، والفرقة الوحيدة التي هي الطائفة المنصورة نالت هٰذه المزية وهٰذه المكانة؛ لأنّها ثبتت على ما عليه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من العلم والعمل القائميْن على كتاب الله وعلى سنة رسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

فالعلم من الله يزكي، العلم النافع والعمل الصالح يزكي النفوس، ويطهرها من أجناس الشرك والضلال والجهل والكفر والبغي والعدوان، ويعلّمها ويربيها ويزكّيها بالعقائد الصافية والمناهج الصحيحة والأخلاق الفاضلة، ومن أراد أن يرى التّزكيات أو النّفوس الزّكية فليقرأ تأريخ الصحابة الكرام رضوان الله عليهم والذين اتبعوهم بإحسان ليرى ما يظهر أثره من العلم ومن العمل ومن الإخلاص واليقين والصدق والوفاء والبر والعدل والإنصاف، وكل أوصاف الكمال التي يكمُل بها البشر، يرى لأصحاب محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خير أمة أخرجت للناس كما وصفها الله؛ لأن الخيرية هٰذه شاملة لكل جوانب الحياة، حياة النفوس في التعامل في الأخلاق في الجهاد في الإخلاص في كل الشؤون التي ترى أهلها في غاية الزّكاء وغاية الصفاء وغاية النقاء.

([1]) **مسلم**: كتاب الإمارة، باب قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((**لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم**))، حديث رقم: (١٩٢٠).

([2]) **سنن الترمذي**: كتاب الإيمان، باب ما جاء في افتراق هٰذه الأمة، حديث رقم (٢٦٤١)، وقال: حديث مفسَّر حسن غريب لا نعرفه مثل هٰذا إلا من هٰذا الوجه. قال الشيخ الألباني: حسن.

فلو درست تأريخ البشرية كلها لا تجد أنقى وأصفى وأزكى وأعلى أخلاقا من هٰذه الأمة التي تصدّرت أمة محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهم أصحاب محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللّهِ﴾[آل عمران:١١٠]، صفات عظيمة يدخل فيها الأخلاق والعدل والإنصاف والتوكل واليقين وصفاء النّفوس وصفاء الجوارح وطهارتها من الرذائل ومن رذائل الشرك ومن رذائل الظلم والعدوان والبغي تجدهم من أنقى البشر وأصفاهم وأزكاهم وأقربهم إلى الله بعد الأنبياء عَلَيْهِمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ فلندرس تاريخهم ومواقفهم وجهادهم ودعوتهم وتبليغهم لنرى أنهم قد حازوا قصب السّبق في كل ميدان وفي كل مجال، ولهذا جعلهم الله تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ مقياسا لمن يأتي بعدهم كما قال تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءتْ مَصِيرًا (١١٥)﴾[النساء:١١٥]، وجعلهم رسول الله مقياسا عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وقال لما سئل عن أعمال الفرقة الناجية عن وصفهم قال: ((**هم من كان على ما أنا عليه وأصحابي**))[1]، وأمر الرّسول عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ حينما تتفرّق الأمة وتمزقها الأهواء ونرى الاختلافات الكثيرة أن نعود إلى ما كان عليه عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ هو والخلفاء الراشدون صلوات الله وسلامه عليه ورضي الله عنهم، وقال عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ: ((**وإنه من يعش منكم فيسرى اختلافا كثيرا، وعليكم بسنّتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عظوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل ضلالة في النار**)).[2]

فيا معشر الشباب -شباب المسلمين جميعا وشباب المنهج السلفي-، ويا معشر السلفيين عموما، عليكم بكتاب الله وبسنة رسول الله، فتمسكوا بهما عقيدة وعبادة وأخلاقا ومنهجا وسلوكا.. إلى

---

(١) تم تخريجه في الصفحة (**٧**).

(٢) **سنن أبو داود**: كتاب السنة، باب في لزوم السنة، حديث رقم (٤٦٠٧) .

سنن الترمذي: كتاب العلم عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع، حديث رقم (٢٦٧٦). وقال: حسن صحيح.

سنن ابن ماجه: باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين، حديث رقم (٤٢، ٤٣) .

قال الشيخ الألباني: صحيح.

مسند أحمد (تحقيق أحمد شاكر وحمزة الزين): حديث العرباض بن سارية، حديث رقم (١٧٠٧٩).

آخر المتطلبات وسائر التكليفات، تمسكوا بهما وعظوا عليهما بالنواجذ ففيها الكمال وفيهما العزة وفيهما الكرامة.

أسأل الله تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ أن يوفق الأمة للعودة الجادة إلى كتاب ربها وسنة نبيها، وأن يرزقها الدعاة المخلصين الصادقين النّاصحين لهٰذه الأمة، وأن يهيئ لهم من الدعاة من ينهض بهم من كبوتهم ويقودهم إلى ساحل النجاة في هٰذه الحياة المغضبة.

أسأل الله تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ أن يحقق ذلك، إنه سميع الدعاء، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

أسئلة الكلمة

سؤال (٠١): كره بعض الصحابة والأئمة كمعاذ وحذيفة ومالك طلب الدعاء من الآخرين، فما هو الجمع بينهم وبين ما قرره العلماء من جواز طلب الدعاء من الرجل الصالح والتوجه كذلك لطلب الدعاء من الرجل الصالح وحديث عمر في صحيح البخاري؟

الجواب: أولا النصوص الشرعية ما فيها تعارض، النّصوص الشّرعية ليس بينها تعارض، الصحابة رضوان الله عليهم كانوا إذا احتاجوا إلى الدعاء من النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ طلبوا منه الدعاء فيدعو عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، كما في الأحاديث التي وردت في الاستسقاء فكانوا إذا يطلبون من النبي أن يستسقي لهم فيستسقي صلوات الله وسلامه عليه.

وقد سأل أحدهم أنس بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن يدعو له فقال: ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة.

وأصبحوا يتعلقون بالمشايخ فلا يكفّون عن طلب الدعاء عنهم صباحا مساء، فيفرح هٰؤلاء الشيوخ الجهلة بتعلق الناس بهم، فيدعون كما يريد من يطلب منهم الدعاء، بل قد يدخلون في الشركيات والبدع والضلالات.

فالعالم الحكيم إذا سئل الدعاء يدعو، لكن لما يرى التهافت ويرى الغلو هذا يزجر الناس ويقول: لست بنبي حتى تطلبوا مني الدعاء وتخصوني بهٰذا الطلب.بارك الله فيكم.

على كل حال الإنسان يدعو للمسلمين ويدعو لإخوانه الأحياء والأموات، ﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ (١٠)﴾[الحشر:١٠]، ويرقي الرقية الشرعية بالحدود الشرعية على الطريقة النبوية لا على طرق الرقى الموجودة الآن والراقين المتأكلين بكتاب الله وسنة رسول الله، وإذا احتيج إليهم في الدعاء للاستسقاء وغيره يدعو بارك الله فيكم، لكن إذا رأى الناس تفسد عقولهم وعقائدهم فعليه أن يبين لهم بالنهج النبوي الابتعاد عن الغلو ومن الاسراف في التعلق بالأشخاص.

سؤال (٠٢): ما حكم بيع أو الاشتغال بإصلاح الأجهزة التي لها استعمالات مباحة وأخرى محرمة، بارك الله فيكم؟

الجواب: على كل حال الذي يشتغل فيها يجب أن يكون نبيهًا، ويميِّز بين من يستغلُّها في طاعة الشيطان ومن يسخِّرها في طاعة الرحمٰن، ومن يرى أنه يستعملها في سخط الله وطاعة الشيطان فلا يتعامل معه، ولا يصلحها ومن يرى أنه يستخدمها في طاعة الله أو في ما أباحه الله له فقط؛ فليتعاون معه لأنك إذا كنت تعرف أن هٰذا الشخص يستغل هٰذا الجهاز في أمور محرمة مثل التلفزيون في التطلع إلىالعورات والنساء العاريات وما شاكل ذلك والخلاعات وما شاكل ذلك والمخالفات، فلا يتعاون معه لأن هٰذا من التعاون على الإثم والعدوان.

وقد سأل رجل الإمام سفيان الثوري قال له: إني أخيط ثياب السلاطين، وهل تراني من أعوان الظلمة طبعا الحجاج وأمثاله في العهد العباسي. قال له:أنت من الظلمة ولكن من أعوان الظلمة الذين يبيعونك الإبرة والخيط.

فالقاعدة الشرعية في الإسلام أن المشروع لك أن تتعاون مع الناس مع المؤمنين على البر والتقوى ولا تتعاون معهم على الإثم والعدوان، لعن الله آكل الربا وموكله وكاتبه وشاهديه، ولعن رسو ل الله الخمر عاصرها ومعتصرها وبائعها وحاملها والمحمولة إليه؛ لأن هٰذه الصور كلها من التعاون على الإثم والعدوان.

فالمسلم الذي يراقب الله تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ لا يتعاون مع أحد على إثم أو عدوان أبدا، وإنما يتعاون على البر والتقوى ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

وفّق الله الجميع للتمسك بالكتاب والسنة واتباع الحق، إن ربنا لسميع الدعاء، ونكتفي بهـــٰذا القدر بهـــٰذا اللقاء الطيب النافع -نسأل الله أن يكون نافعا- لنذهب إلى صلاة العشاء.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته..